ذكرى الهند

(تابع لما في الجزء السابق)

اما سكان جزيرة البحرين فكلهم من العرب وهم سمر الالوان عليهم سيمآء عرب البادية وهم اهل ثروة ومعظم تجارتهم في اللؤلؤ الذي يستخرجونهُ من تلك الناحية ويؤدون منهُ رسماً الى حاكم مسقط . وفي هذه الجزيرة اشجار النخل والبرتقال والنومي والرمان . وقد كانت يوماً في حوزة البرتوغال ثم خرجت من ايديهم على اثر انسلاخ الهند عن ملكهم . وفي اواسط الجزيرة بقايا قلعة عظيمة للمذكورين قد صارت اليوم الى الخراب

وفي مسآء ذلك اليوم اقلعت الباخرة متجهة نحو بندر عباس وهو بلدة حقيرة من بلاد العجم على خليج فارس . وبعد ان رست هناك ساعاتٍ قليلة سارت قاصدة مسقط وهي حاضرة بلاد عُمان يحكم فيها شيخ من شيوخ العرب من عشيرة شيوخ زنجبار اي بني سعيد ونسبهم ينتهي فيما يقال الى بني اسد ويسمّى الحاكم منهم بالسلطان والامام وهو اليوم السلطان فيصل بن تركي

وبلدة مسقط يحيط بها من جهاتها الثلاث جبال قاحلة جرداآء ويشتدّ فيها الحرّ الى حدٍّ يأخذ بالانفاس وقد كان في صباح ١٣ من تشرين الاول (اكتوبر) على ٩٥° من السنتغراد ومع ذلك فان السكان كانوا يعدّون ذلك اليوم كأنهُ من ايام النوروز لان الحرّ يبلغ عندهم في ايام القيظ الى ١٤٥° فما فوق

اما اللغة الشائعة في هذه الحاضرة فهي العربية وتليها الهندية والبلوخستانية واكثر من نصف سكانها من الزنوج لان تجارة الرقيق لا تزال رائجة فيها مع تشديد الحكومة الانكليزية والفرنسوية في منعها . وكنا عند نزولنا الى البلدة قد زرنا قنصل فرنسا فيها وهو يحسن التكلم بالعربية فاستقبلنا احسن استقبال واخبرنا انهُ منذ مدة قريبة كان عندهُ نحو ثلاثين فتًى من العبيد الزنوج استخلصتهم الحكومة الانكليزية من ايدي النخاسين وانهُ سلمهم الى احد المرسلين الاميركان المستركانتين ليتولى تعليمهم وتهذيبهم . وكنا نعرف هذا المرسل لانهُ كان قبل ذلك في البصرة فزرناهُ فرحَّب بنا ورأينا عندهُ اثني عشر فتى من الزنوج المذكورين وكلهم متأزرون بالمآزر البيضآء ولغتهم البمباسية فعلَّمهم المرسل المشار اليهِ الانكليزية وبها كان يخاطبهم

وكنا في اثنآء ذلك قد بعثنا احد يسقجية القنصلية الفرنسوية الى السلطان فيصل نستأذنهُ في زيارتنا لهُ فاظهر سرورهُ لذلك وضرب لنا موعداً فسرنا اليهِ وامامنا اثنان من يسقجية القنصلية المشار اليها . ولما وصلنا الى باب القصر رأينا شرذمة من البلوش واقفين على اقدامهم وبايديهم البنادق وفي اوساطهم الخناجر ذات المقابض المفضضة واذ دخلنا الدار وجدناها غاصَّةً بالعبيد الزنوج والخدَم . ثم رقينا السلَّم فلما بلغنا اعلاهُ اذا بالسلطان خارجٌ من ردهة الاستقبال لملاقاتنا فحيّتهُ تحيّة العرب فحيّاني باحسن منها واخذ بيدي فادخلني ردهة الاستقبال وكانت مكتظّة بكبار القوم فعرّفهم بي وذكر لهم اني عربيٌّ اتكلم بالعربية فرحّبوا بي ترحيباً عظيماً . وبعد ان جلست عندهُ ساعةً طويلة تجاذبنا فيها اطراف الحديث استأذنت في الانصراف فخرج

معي من ردهة الاستقبال وشيعني الى اعلى الدَرَج كما استقبلني . وقد شاهدت من رقة هذا السلطان وكرم شمائلهِ وحسن مجاملتهِ ما أُعجبت بهِ غاية الاعجاب وهو اسمر اللون ذو لحيةٍ خفيفة رشيق الحركة وعمرهُ بين الثلاثين والثلاث والثلاثين

وبعد ان اتمّت الباخرة شحنها من التمر وغيرهِ اقلعت بنا من مسقط فمرّت على عدّة بلدان الى ان القت مرساتها في مياه بمباي مساء الخميس ١٩ من تشرين الاول اي بعد عشرين يوماً من خروجنا من بغداد . وفي صباح اليوم التالي خرجنا الى البرّ فزرت بعض الكنائس والمدارس الاوربية ثم قصدت زيارة البستان العمومي المعروف ببستان ڤكتوريا وفيهِ معرض وطني لانواع الحيوان والنبات وهو ذو طبقتين وجدرانهُ مزينة باجمل النقوش وقد قام بنفقتهِ داود ساسون البغدادي الاسرائيلي المثري الشهير . ولهذا الرجل آثار شريفة في هذه المدينة منها المدرسة المعروفة بدار القرآءة انشأها بمالهِ وقد رأينا تمثالهُ في صحن هذه الدار وهو من رخام ابيض نقي يمثلهُ بالهيئة البغدادية اليهودية من الطربوش والجبة والردآء والمداس وكانت وفاتهُ سنة ١٨٦٢ . اما المعرض المذكور ففيهِ انواع الحيوانات الهندية من الداجنة والآبدة كالجاموس البرّي والنمر والغزال والافاعي والطيور والاسماك وكلها محنّطة وفي جملتها سمكة بحرية يبلغ طولها عشرة امتار . وكذلك انواع المزروعات ومنسوجات البلاد والاخشاب المصنوعة وغير ذلك مما يطول سردهُ وكلها مرتبة ترتيباً متقناً وابواب هذا المعرض مفتوحةٌ كل حين للزوار وعلى الابواب حرّاس يحرسون ومنهم من يطوف مع المتفرجين

واتفق في اثنآء وجودنا في بمباي حلول رأس السنة عند الهنود الوثنيين وقد كان في ٢ تشرين الثاني وهم يحتفلون بهِ ثلاثة ايام فيزيرون حوانيتهم ودورهم ولا سيما في الليل فيوقدون الوفاً من المصابيح والشموع ويجول المطربون واصحاب الآلات الموسيقية في الشوارع . وفي هذه الايام الثلاثة يبدّلون الآلهة فيطرحون العتيقة في البحر ويتخذون بدلها آلهةً جديدة ويجددون دفاترهم التجارية وينشرون اعلانات جديدة عن بضائعهم وتعطَّل المعاملات الرسمية في الحكومة والمصارف (البنوك) لان هذا العيد معروف رسمياً عند الحكومة

وشوارع بمباي وطرقاتها فسيحة وتُرَشّ صباحاً ومسآءً وفي اكثر طرق المدينة يسير الترامواي وهو في غاية اللطافة والنظافة . واكثر دور المدينة ذات ثلاث طبقات ومنها ما هي ذات اربع وخمس طبقات ومعظم عمارتها من اللَبِن المطبوخ واما الاساسات فمن الحجارة السوداء (ستأتي البقية)

معرض الصغار

من غريب الذرائع التي يتخذها الغربيون لإرهاف اذهان الاحداث وتوسيع مداركهم ما قرأناهُ آخراً في احدى المجلات العلمية عن معرض الصغار الذي أُنشئ في واشنطون . وهو معرض للمواليد الثلاثة اي لانواع الجماد والنبات والحيوان سمّوهُ بغرفة الصبيان (Children's room) جمعوا فيهِ كل ما يحسن وقعهُ في عين الصغير ويدعوهُ الى التثبُّت في شكلهِ ولونهِ والاستفهام عن صفاتهِ وخصائصهِ وغير ذلك من المعلومات التي يُولَع الصغار